



يمكن تقسيم تاريخ جماعة الأخوان المسلمين في سوريا إلى ثلاثة مراحل:

1/ المرحلة الأولى : تمتد من مرحلة تأسيسها في ثلاثينيات القرن الماضي على يد المرحوم مصطفى السباعي حتى أحداث الثمانينات من نفس القرن . ولا يمكن لأي منصف أن يتجاهل الدور المؤثر وال بصمات الإيجابية التي وضعوها في بناء الفرد وتطوير المجتمع في تلك المرحلة حيث نجحوا في إيجاد فرد فاعل ناضج قوي الارتباط والتأثير الإيجابي في محیطه الصغير الأسرة مروراً بالأصدقاء والجيرانانتهاءً بالمجتمع عموماً ثم الوطن والأمة .

كانت تلك الحقبة تميّز بوضع خاص يتجاذب فيها عملية بلورة وتطوير ثقافة المجتمع تياران هما التيار المتّوقع المتجّر والذي هو امتدادٌ لقرون سابقة من الفهم الخاطئ للدين ولسنن الكون متشحاً بنظرية سلبيةٍ لكل ما يزيد عبر عجلة التطور والنهوض الحضاري الغربي . والتيار الثاني هو التيار العلماني الذي بالغ بشدّ الحبل نحو اليسار ساعياً لنصف كل ما حوت الحقبة السابقة بخيرها وشرها ولو قاد هذا لاجتثاث الدين كله من حياة الناس وتفويض الدعائم الأخلاقية للمجتمع . وفي هذا الظرف البالغ الحساسية بُرِز دور الجماعة في إيجاد جيل وسط يمسك العصا من المنتصف ويجمع بين التمسك بمبادئ الدين الحقيقة بعيداً عن الجهل والتخلف والتعصب والتقوّع والسلبية .. وبين الانفتاح على الحضارة الغربية واستجلاب المفيد النافع الذي لا يتعارض مع أخلاقيات وقيم المجتمع الإسلامي والتي تُعتبر سمةً إيجابيةً مميزةً له . فنشأ في ظلها أناسٌ يتمتعون بقبولٍ واحترامٍ وحبٍ من أطياف المجتمع السوري الذي رأى فيهم الاخلاص والحس العالي بالمسؤولية والرغبة الصادقة بإصلاح المجتمع . وبعد سيطرة حزب البعث على السلطة أصبحت نشاطاتهم شبه سرية وضيقَ عليهم كثيراً واضطُهداً وسجّنوا وعذبوا إلى أن استُدرجوا لحمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم بما يسمى أحداث الثمانينات .

2/ المرحلة الثانية : مرحلة أحداث الثمانينات... كانت الاعتقالات وما يرافقها من تعذيبٍ وحشٍ قد يؤدي للموت أو الإعاقة مصدر خوف وقلق لكل فرد في الجماعة وعائقاً لاتساع نشاطها ، هو ما ميز بداية تلك المرحلة، وكذلك إقدام حافظ الأسد على إحكام السيطرة على كل مقدرات البلاد وتفاصيل التحكم بالدولة صغيرها وكبیرها بطريقة طائفية فجة جعلت قسماً من

الجماعة يستشرف المستقبل الأسود الذي سيلف البلاد إن بقيت الأمور تسير بسلامة في هذا الاتجاه، فانفصلوا عن الجماعة باسم الطليعة المقاتلة للأخوان المسلمين مؤمنين بضرورة إيقاف هذا المد الطائفي السرطاني بالمواجهة المسلحة طالما أن النشاط السلمي محارب وينتهي بصاحبـه إلى أقبية السجون حيث تفضـي إلى الموت أحياناً أو الإعاقة... ونجحـوا في زعزعة أركان النظام وخاصة في حلب وحماة وكثير من البلدـات الشمالـية، فالـائف الناس حولـهم بـقوـة وبدأت تـخرج المـظاهرـات الحـاشـدة -في حـلب خـاصـة- وـطالـبـوا بإـسـقـاطـ الرـئـيسـ منـادـينـ لا درـاسـةـ ولا تـدـريـسـ حتى يـسـقـطـ الرـئـيسـ، وأـغـلـقـتـ الجـامـعـةـ والمـدارـسـ وبـعـدـ صـرـاعـ مـرـيرـ رـجـحـتـ كـفـةـ النـظـامـ، فـقـتـلـ وـاعـتـقـلـ وـشـرـدـ مـئـاتـ الآـلـافـ منـ اـفـرـادـ الجـمـاعـةـ وـالـمـناـصـرـينـ لـهـاـ حيثـ قـامـ بـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـ حـلـبـ وـالـبـلـادـ الشـمـالـيـةـ التـيـ كـانـتـ حـواـضـنـ لـلـجـمـاعـةـ، فـقـامـ بـإـذـلـلـ مـنـهـجـ لـلـسـكـانـ وـعـمـلـ عـلـىـ إـفـقـارـهـمـ وـتـرـكـيـعـهـمـ الخـنـاقـ عـلـىـ حـلـبـ وـالـبـلـادـ الشـمـالـيـةـ التـيـ كـانـتـ حـواـضـنـ لـلـجـمـاعـةـ، فـقـامـ بـإـذـلـلـ مـنـهـجـ لـلـسـكـانـ وـعـمـلـ عـلـىـ إـفـقـارـهـمـ وـتـرـكـيـعـهـمـ واـضـطـهـادـهـمـ، فـجـمـدـ الـبـنـىـ التـحـتـيـةـ وـالـحـرـكـةـ الـإـقـتـصـادـيـةـ وـأـوـصـلـهـمـ إـلـىـ حـالـةـ مـرـثـيـةـ مـنـ الرـعـبـ وـالـخـضـوعـ، مـعـ شـنـ حـربـ إـعلـانـيـةـ شـعـواـءـ عـلـىـ الـجـمـاعـةـ وـتـشـوـيـهـ صـورـتـهاـ اـبـدـاءـ مـنـ الـمـارـدـسـ وـأـنـتـهـاءـ بـإـعـلـامـ اـسـتـمـرـتـ سـنـيـنـ طـوـيـلـةـ.

كل هذه العوامل مجتمعة قادت الى تبرؤ كثيرون من الناس من الجماعة وتخليلهم عن أفرادها وتحميلهم مسؤولية ما جرى سابقاً وما عانوه لاحقاً من بطش النظام، فأصبح أفراد الجماعة مرتين هم الضحية وكبش الفداء ، ونشأ جيل جديد - في ظل خوف المجتمع من الحديث عن تلك الحقبة - لا يعرف الحقيقة وينظر إليهم كإرث تاريخي دمر البلد وأرجع الحريات العامة والتطور عقوداً لوراء. أما في خارج سوريا فلنسمها مرحلة الشتات حيث انتشر من يقي من أفرادها في كل أنحاء المعمورة مشردين وكثير منهم بغير أوراق ثبوتية على أمل انفراج أزمنتهم بعد شهور أو سنتين .. وطال الانتظار ... وتزوج جيلٌ منهم ليلد جيلاً جديداً في المنفى لا يحمل الجنسية السورية لأن السفارات السورية تمنع عن إعطائهم ثبوتيات الزواج وتسجيل الأبناء، وتزوج الجيل الثاني لينجب جيلاً ثالثاً ولم يتغير الحال .. فمنهم من حصل على جنسية البلد التي لجأ إليها ومنهم من عاش حياته مهدداً معاً أسرته بالترحيل لأن البلد التي لجأ إليها لا تمنح الحق بالجنس لمن أقام على أرضها مهما امتدت إقامته ، وقضى كثير من الجيل الأول ميتاً حسراً وكمناً بعيداً عن تراب الوطن .. وتالت السنون عشرةً خلف عشرة... ولم يعد لهم بنية متماسكة بعد أن تفرقوا في الأمسكار ونسيهم من بقي لهم من أهل داخل سوريا وكذلك باهت كثير من المحاولات المتنالية لتسوية أوضاعهم وطي صفحة الماضي مع النظام بالفشل فاختلت أوضاعهم وتتنوعت أحوالهم ... فمنهم من بقي صابراً محتسباً صافياً كطهر الملاك . ومنهم من بدل وغيره . ومنهم من اعتزل الجماعة وانخرط ليعيش مع أبنائه وأحفاده كمواطن في بلد المنفى. ومنهم من لازمه عقدة النقص فراح يقدم تنازلات إثر تنازلات لعلها تلقى قبولاً واستحساناً من النظام واصدقاء النظام ، وكلها لم تقربه من النظام زلفى ولا من أدعية الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم الغربي الذين تجاهلوا ملف الإخوان عشرات السنين ما دام في سوريا حكم قوي مستقر يحرس أمن إسرائيل إلى أن بدأت المرحلة الثالثة وهي قيام الثورة السورية بشكل مباغت أذهل الجميع .

المصادر: